

مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة مظهر من مظاهر التلاحم الشعبي

Algerian women's participation in the revolution is a manifestation of popular cohesion

أ.د. / فراج وسيلة

المدرسة العليا للأساتذة

—بوزريعة—

الملخص: تعتبر المرأة عماد الأسرة وقوامها فهي نصف المجتمع ، لذا ركز الاستعمار الفرنسي عليها لتحطيمها وابعادها عن مبادئها ، فلم تستسلم للظلم الاستعماري بل واجهته مجاهدة ومقاومة ، واخترت في هذه المقال التكلم عن بعض نماذج المرأة المجاهدة فأدت دورها الريادي في التطبيب وحملت مسؤولية التنقل لنقل الأخبار وإيصال الرسائل ، حملت الرشاشة شاركت في المعارك عملت ممرضة وعالجت الجرحى سهرت على راحتهم وربت أولادها على حب الوطن وزرعت فيهم الروح الوطنية ومبادئ الدين الاسلامي وقد اخترت نماذج لنساء أدين دورا رياديا في الثورة .

الكلمات المفتاحية : المرأة ، الثورة ، التلاحم ، الاستعمار .

Abstract:

Women are considered the pillar of the family and its strength, as they are half of society, so the French colonialism focused on them to destroy them and keep them away from their principles, so they did not surrender to colonial oppression, but faced it with struggle and resistance She carried the machine gun, participated in the battles, worked as a nurse, treated the wounded, watched for their comfort, raised her children to love the country, and planted in them the patriotic spirit and the principles of the Islamic religion. I chose models for women who played a leading role in the revolution.

Keywords: women, revolution, cohesion, colonialism.

مقدمة:

اختارت الثورة الجزائرية القيادة الجماعية لثورتها ما أدى إلى نجاحها فكانت ثورة شعبية لا قيادة فردية ولا حزبية تعثر بها ، شملت كل الجزائريين ، مثقفين أميين فلاحيين ، نساء أطفال... شيوخ وعجائز الكل آمن بقضيته وتحمس لهذه المسؤولية رافضا كل أنواع الظلم والاستعباد والتنصير ، وانضمام المرأة للثورة دليل على الالتحام الشعبي والذي أعطى دفعا ودعما كبيرين للثورة.

1/ مكانة المرأة في المجتمع الجزائري قبيل وأثناء الثورة:

تعتبر المرأة الحلقة المحورية في الحفاظ على استقرار الأسرة الجزائرية وحمايتها من الأخطار التي تستهدف شخصيتها ، فالمرأة الجزائرية عماد الأسرة الجزائرية وأساس بنائها واستمراريتها في وجه حملات التغريب التي شنتها السلطات الاستعمارية تجاه الجزائر بلدا وشعبا، كما نجد أن المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الحضارية والثورية الأساسية ، التي وقفت سداً منيعاً في مواجهة الحملات التشويهية التي استهدفت الأسرة الجزائرية بصفة عامة، ومن هذا المنطلق فإننا نجد أن أدوارها قد تباينت بين تربية الناشئة الجزائرية من أبناء الوطن، كما عملت على تكوين وإعداد النخب والأجيال المستقبلية لهذه البلاد، وتعليم الشباب من أبناء الجزائر بمبادئ الدين الاسلامي حماية لهم من جميع الأخطار والدسائس الدعائية والحضارية التي ترصد لهم من السلطات الدعائية الفرنسية، هذه الأخيرة التي تهدف إلى زحزحة أبناء البلاد عن المسار الصحيح ودفعهم نحو الانحلال الخلقي، الوافد ضمن ملحقات الحملة العسكرية الفرنسية المعلنة على الجزائر ، التي تستهدف بمخططاتها المرأة الجزائرية كعنصر أساسي في تكوين المجتمع، وهي المشاريع التي حاولت أن تجعل من المرأة الجزائرية، كيانا بشريا يعاني من الجمود والانغلاق¹.

قامت السياسة الفرنسية القائمة على التحامل والتكالب ضد المرأة الجزائرية المسلمة، في محاولة من قبل السلطات الاستعمارية لأجل انتشار هذه الأخيرة من واقعها العربي المسلم، والإيقاع بها في مستنقع الرذيلة والتحرر الفاضح للثقافة الفرنسية غير المقيدة بوازع الأخلاق والدين والتي تتعارض في مبادئها مع القيم الأخلاقية والانسانية التي تميز المرأة الجزائرية المسلمة².

وكان الجمود واقفا في وجه المرأة ومانعا من تعليمها فجاءت الجمعية و أخرجت المرأة من الجهل إلى العلم في دائرة التربية الاسلامية والجمعية أكدت على أن الأمة كالبطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحها هو الرجل و المرأة فلأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد فهي واقعة لا محال فالنساء أصبحن يشهدن دروسا خاصة هن في الوعظ و الإرشاد ويفهمن ما للمرأة وما عليها³ وأدركت أن الحياة كلها تتوقف عليها لأن الاسلام أعطى للمرأة مكانتها وحقوقها وحررها من الظلم وشرفها وساوى بينها و بين الرجل في التكليف الدينية وخاطبها استقلالا تشريفا لها⁴ وأصبحت المرأة مثلها مثل الرجل تشعر بالمسؤولية الجماعية و المحافظة على الأصالة و الانتماء

تاريخ الإرسال: 2022/11/18

تاريخ القبول: 2022/12/21

تاريخ النشر: 2022 /12/30

التاريخي و الحضاري وباندلاع الثورة عزز هذا الشعور وزاد الحرص على الوحدة الوطنية ورفض اية محاولة للنيل من هذه الوحدة⁵.

ويمكننا إبراز الدور الاجتماعي الذي لعبته المرأة منذ بداية الثورة من خلال بعض الشهادات التي أدلت بها بعض المجاهدات، حيث تقول السيدة فاطمة علال في بداية الثورة كانت النساء تتوزع الأعمال التي تتعلق بتموين جيش التحرير الوطني، قهيء الكسكس والكسرة وتُعِدُّ (الفَرِيك) و(المَرْمَز) وتخيظ مختلف الأشياء التي يحتاجها جنود جيش التحرير الوطني مثل القَشَاشِيْبُ والجَلَابِيَّاتُ وعندما اشتد البطش الاستعماري وتعرض الرجال للقتل والنفي والتشريد، والتحق معظمهم بصفوف جيش التحرير الوطني، حلت النساء محلهم في كل الأعمال التي كانوا يقومون بها، فأصبحن يقمن بتموين جيش التحرير الوطني، حيث يجتمعن المئُون من كسرة وكسكس وملح وفلفل وزيت وغير ذلك في أكياس يحملنها في (زنايل) ويغطينها بالنفايات حتى لا يكتشفها جنود العدو، ثم يحملنها على الحمير ويتجهن إلى مراكز استقبال المجاهدين.

و لم يقتصر الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية على الخياطة، و تموين جيش التحرير الوطني، بل قامت بدور المرشدة الاجتماعية في الوسط النسائي، سواء في القرى أو الأرياف، فكانت تستغل المناسبات الكثيرة التي تسمح بتجمع النسوة مثل أفراح الزواج والختان، والوفيات وزيارة الموتى في المقابر وفي ذلك تقول السيدة زكية بوضياف: كنا نعطي النساء دروسا في التوعية السياسية، بحيث نشرح للقرويات أهمية الثورة وأهدافها، وحقيقة الاستعمار الفرنسي... كما كنا نعطي دروسا في التربية الاجتماعية، تتعلق بكيفية تربية الأطفال وطريقة معالجتهم ونظافتهم. وكل ما يفيد العائلات في التدابير المنزلية والحياة الصحية، وبممارستها لدورها، أصبحت المرأة الجزائرية تستقبل وتؤوي، حتى أثناء غياب زوجها، المجاهدين والفدائيين الذين تطاردتهم السلطات الفرنسية، وتقدم لهم الغذاء والشراب والمؤونة، وتنظف ثيابهم، وتسهر على راحتهم، وتشجعهم بالزغاريد والأغاني الحماسية، لتقوية نشاطهم وإيمانهم، وتؤكد المجاهدة مداني لويزة بأن النساء اللواتي يستخدمن الجيش الفرنسي لغسل ملابس الجنود كانت تستولي على كثير من الملابس، وترسل بها لجيش التحرير، وقد أشرفت المرأة أيضا على جمع الاشتراكات والتبرعات والقيام بمهمة الدعاية والإعلام وخياطة الملابس والقمصان العسكرية بمختلف أشكالها وأنواعها وأحجامها وصنع الأعلام الوطنية.

وفي المجال الصحي كان للمرأة دور بارز في ميدان التمريض على وجه الخصوص لما شهدته الجزائر عقب الحرب العالمية الثانية من انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة مثل الحصاء والجذري والتيفوئيد والملاريا وحمى المستنقعات، بسبب غياب التربية الصحية المتمثلة في استعمال الآبار غير الصالحة للشرب واستعمال المياه القذرة لسقي الخضار، والفقر وتدهور المستوى المعيشي وعدم اهتمام السلطات الاستعمارية بالإجراءات الصحية الوقائية⁶.

ومما يدل على مشاركة المرأة في المنظمات الوطنية حضور بعض النساء المناضلات في الاجتماع الذي عقد في 5 اوت 1951م في سنيما دنيا زاد بالجزائر العاصمة التي دعت إليه اللجنة الإنشائية لتأسيس جبهة الدفاع عن الحرية

واحترامها ومن الملاحظ أن منظمة النساء الجزائريات التي أسست في جوان 1947م بفضل مساهمة الطالبات و المعلمات في المدارس الحرة من بين الأعضاء البارزين في هذه الجمعية نذكر مامية شنتوف قابلة و نفيسة حمود طالبة في كلية الطب وسليمة بن حفاف ومالكة مفتي والسيدة بن عصمان وباية نوار وبومعزة علاوة وكانت المنظمة تهدف لترقية الفتاة و المرأة الجزائرية ⁷.

2/ انضمام العنصر النسوي للعمل الثوري :

تمكنت الثورة الجزائرية من فرض روح الجماعة على الجميع بفضل صدق المسعى ونبله وبفضل عوامل وطنية وإنسانية فأُنظمت النساء اعتماداً على القوة الذاتية واستخدام كافة الامكانيات المتاحة مع الاستناد الى الانتماء الاسلامي الموجه لأصالة المجتمع الجزائري هكذا ظهر التكافل بين الأفراد معبراً عن روح الجماعة وأصبحت مصلحة الجماعة المرتبطة بالوطن و بالحرية و بالاستقلال هي المهيمنة على تفكير والمعاملات ، حيث أن روح الجماعة قد أعانت على استمرار الثورة وصمودها سبع سنوات دون توقف، هذه الثورة أيقظت روح الجماعة من غفوتها وأحييت القلوب وملأت النفوس طمأنينة إلى طريق الحرية والانعقاد فتجددت دوافع العزم و الصمود وانبعثت جذوة الرغبة في الاستشهاد من أجل الحق و العدل ، وسيطرت قيم المساواة و الأخوة واشتد الإقدام على خوض المعارك في ميدان الشرف و الكرامة ولم يعد من السهل إيقاف هذه العاصفة التي جاءت لتدل على وجود طاقة هائلة كانت كاملة في الأفراد وظهرت متآلفة في الجماعة مكونة سيلاً جارفاً لكل ما يعترض طريقه من عقبات وبوازع من روح الجماعة ، حيث انغrust روح المسؤولية إذ أصبح كل واحد يشعر أنه مسؤول في مسيرة الثورة مشارك فيها ومطالب بالسعي إلى انجاحها وإذا لم يفعل إما مقصر أو خائن وإما عميل وهي مواقف تعرض للعقاب وقد بات راسخاً في العقول و القلوب أيضاً أن جميع ما ينفع الجماعة في صمودها وجهادها من عمل سياسي أو اقتصادي يجب القيام به كاملاً ، إن روح الجماعة كان القوة المحركة و الدافعة و القائدة وكان التقليل من شأنها أو العبث بها مما يعرض الى الإدانة و العقاب المادي أو المعنوي أو هما معا ⁸.

نلاحظ أن كلمة امرأة أو فتاة لم تبقى مستعملة إذ حلت محلها كلمات أخ وأخت ومجاهدة ومناضلة وكلها تتضمن معاني الإخاء والصدقة الثورية المخلصة وتعتبر المجاهدة بنت الجبهة والجيش وبنت الجزائر الثائرة، ذلك عنوان تضحياتها وبروز شخصيتها فأدركت بين إخوانها المجاهدين قيماً إنسانية نبيلة لم تكن تشعر بهذا العمق وأدركت أيضاً أنها تغيرت وأصبحت إنساناً جديداً يعيش في عالم جديد يسوده الصفاء والإخاء والتضامن ورأت مولد شعب عظيم باسل يتسم بالتفكير والنضال الجماعي فغيرت الظروف الثورية مفاهيم حياتها و طورت أفكارها. ومن الواضح أن هذه المجاهدة التي مارست مختلف الأعمال وتحملت أصعب المسؤوليات قد أثبتت وجودها في كفاح بلادها وشكلت قوة سياسية فعالة وإيجابية، وفي ذلك يقول ميثاق مؤتمر الصومام الوثيقة السياسية الأولى للثورة الجزائرية عام 1956م :

(توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر بإطراد وإنا لنحیی بإعجاب وتقدير ذلك المثل الباهر الذي ضربته في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء والزوجات والأمهات ذلك المثل الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات اللائي يشاركن بنشاط كبير وبالسلح أحياناً في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن، ولا يخفى أن الجزائريات قد ساهمن مساهمة إيجابية فعالة في الثورة ... إن المرأة الجزائرية على اختلاف مستوياتها وطبقاتها الاجتماعية سواء كانت في المدينة أو في الريف، تمكنت من التغلب على العراقيل والعقبات والضغط الاجتماعي القاسية التي تواجهها وساهمت مساهمة فعالة وإيجابية في الكفاح. ولما كان للمرأة من مواقف شريفة ومن بذل سخي من مال وحلي ولباس وأغلى من كل ذلك. من ولد أو زوج، فكانت الثورة دائماً في صالح المرأة وتقديراً لمواقفها النبيلة فتحت مجالاً فسيحاً للفتيات والزوجات والأمهات واستقبلتهن بالترحيب والتبجيل في ساحات الوغى وألقت عليهن أعباء مختلفة ومسؤوليات مقدسة»

والمرأة الريفية كانت تحتاط لشرفها فحينما يدخل الاستعمار للريف أول شيء يقمن به يجتمعن في مكان واحد في المسجد أو الدور كن يلبسن الثياب القذرة و الممزقة وهناك من كانت تسود وجهها بالفحم حتى لا تقترب منها العساكر⁹.

يذكر الاستاذ تومي الذي انخرط في صفوف جيش تحرير كطبيب سنة 1956م في دراسة له نشرت في مجلة الصحة العسكرية سنة 1993م يذكر : كان معنا 500 من النساء اغلبهن من الفتيات المجاهدات بعضهن كانت لهن مسؤوليات كبيرة خاصة في ميدان الصحة وقطاع العتاد والتموين لقد أظهرن الكثير من التضحيات الا يشعرن بالخطر هل يحتقرن الحياة أم لا يخفن الموت ... لقد رأيت بأم عيني نساء يحملن 40 كلف من القمح على رؤوسهن ويسرن مسافات طويلة بلا استراحة .. لم أشهد شخصيا أي أعراض للهستيريا أو الإهيار العصبي للمعروفة في ظروف الحروب والإشتباكات المسلحة .. ان سلوكهن يزداد صلابة بمرور الوقت وأصواتهن تزداد ثقة و وقارا وقد لمسنا رغبة خفية في منافستهن الرجال من جنود جيش التحرير والتفوق عليهم¹⁰.

لقد حملت بعض النساء السلاح فداء لأرواح أخواتهن وإخوانهن فالتحقن بالثوار بعد أن أحرق العدو قراهن ومنازلهن أما الأخ أو الأب فلم يرضى أن تبقى أخته أو ابنته جامدة فيشرفه أن تلتحق بالثوار وبعض الفتيات واجهت عائلتها وتغلبت على الضغط الاجتماعي لتنظم إلى سلك المجاهدين في غالب الأحيان كانت ترسل الفتيات إلى التدريب و التكوين قبل الانضمام إلى الجيش ويتمرن بإتقان في مجال الطب العسكري والسياسي على الحدود ، و تدوم هذه التدريبات عدة شهور ثم ترسل هذه الفتيات إلى الجيش ثم يوزعن على مختلف المناطق في الوطن وهناك بعض الفتيات يمكنن في ديار سرية عبر الحدود الجزائرية لصنع العبوات والألغام ومختلف المفجرات ورعاية الأسلحة وتنظيفها وترتيبها ، وإعداد الأدوية وخياطة الملابس العسكرية و الإعلام وبعضهن تهم بالكتابة على الراقة لإعداد المنشورات والتقارير السرية¹¹.

وتتراوح أعمار المجاهدات بين 16 و30 سنة جئن من معظم أنحاء البلاد وينتمين إلى مختلف الأوساط الاجتماعية منهن الطالبات و المعلمات ممرضات والغير مثقفات كل منهن تعمل بما يؤهلها وتتقدم المجاهدات إلى الصفوف الأولى للتضحية فتعبر الحدود بحذر وترحف على بطنها بسبب الحواجز الملغمة وبعد اجتيازها الحدود أحيانا تحتاز بسلام هذه الألغام وأحيانا يحدث تشابك مع العدو¹² .

3/ نماذج من الأدوار البطولية والنضالية للمرأة أثناء الثورة:

وسجل التاريخ الجزائري أسماء بطلات أمثال وريدة مداد وهيبة قبائلي مريم وفضيلة سعدان حسيبة بن بوعلي مريم بوعتورة عويشة حاج سليمان والمئات ممن سقطن في ساحات المعارك وحققن النصر وبرز اسم جميلة بوحيرد وجميلة بو باشا وجميلة بو عزة فاذا بالجماليات الثلاث تبرز كمثال لصمود المرأة الجزائرية وتحديها لوسائل التعذيب والاضطهاد والقمع .

أما مناضلة الجبهة تكرر جهودها لإرساء قواعد التنظيم للنساء في المدينة بتكوين نظام سياسي نسائي مشكل من خلايا وأقسام وافواج لتعبئة الجماهير الوطنية وتوعيتها وتوزيع منشائر المتضمنة أوامر القيادة الثورية تؤدي المنظمة النسوية اشتراكات و تبرعات .

وأما المسبلة يقمن بالاتصال بين الجبهة والجيش تقوم المسبلة بحراسة المجاهدين أثناء عملياته التخريبية في المدينة وتبرز للمجاهدين الطريق بعد انهاء أعمالهم إلى مواقعهم حتى يصلوا بسلام وتقوم بشراء الأدوية واللوازم التي يحتاجها المجاهدون وتحملها رغم عمليات التفتيش .

وضعت جميلة بوحيرد قنبلة في مقهى الملك ميلك بار وحسية في كافيريا بالعاصمة ووضعت جميلة بو عزة قنبلة في شارع ديدوش مراد حاليا 19-11 _____ 1956م وكان عمرها 19 سنة وفي مقهى الكوك هادي و تبقى المرأة رمز الجهاد والتضحية في تاريخ الجزائر¹³ .

مليكه قايد :

هذه المجاهدة كانت لا تتخلى عن زيتها العسكري مثلها مثل الرجل جيش التحرير وسلاحها لا يفارقها أبدا استشهدت وهي تطلق النار في حصار شنه عليها جنود العدو في منطقة القبائل في جوان 1957م استشهدت قبل أن يصل الاستعمار للجرحى استشهدت وبعدها استشهد الجرحى .

حسية بن بوعلي :

من مواليد منطقة الأصنام 1938م انتقلت عائلتها الى العاصمة بعد زلزال 1954م قبل الثورة بأيام انخرطت أولا في جمعية الشبيبة الاسلامية 1955 م لتنظم بعدها إلى فريق الطبيب شولي الذي جهز عيادته بالمدينة لمعالجة الجرحى المجاهدين سرا ، اشتغلت كممرضة ثم انضمت إلى فوج صنع المتفجرات ببئر خادام وكانت تمر حاملة القنابل في زي أوروبي تمر دون أن يكشف أمرها وهجرت بيتها الى القصبة لتلتقي بأخوات مجاهدات أمثال زهرة ظريف وفي ديسمبر

تاريخ الإرسال: 2022/11/18 تاريخ القبول: 2022/12/21 تاريخ النشر: 2022 /12/30

1956 م أصدر امر ايقاف ضد حسيبة وقد شاركت في اضراب 28 جانفي 1957 م و لعبت دورا في انجاحه وكانت تقوم بزرع المتفجرات وسط الحانات ومقاهي العاصمة وقد صدر في حكمها الأشغال الشاقة مدى الحياة ورغم عمليات التمشيط كانت تمكث بحي القصبة ساعات داخل مخبأها ، وفي نهاية 1957م عرف العدو مكان تواجدها مع رفاقها علي لابوانت وعمار ياسف ومحمد بوحدي إثر وشاية ، فقامت بتلغيم المنزل الذي كان بداخله و فجرته على من كان فيه فاستشهدوا في 8 اكتوبر 1957م بحي القصبة ولم يكن عمرها يتجاوز 20 سنة ¹⁴.

الأختان فاطمة ومسعودة باج :

من منطقة الأصنام انظمت مسعودة الى الكشافة الاسلامية بحي القصبة سنة 1956 م التحقت بالجيش بالولاية الرابعة وعملت ممرضة ثم عملت في المركز الصحي بجبل زكار و انتقلت سنة 1957 م في مهمة تمريرية إلى تنس وهناك التقت بشقيقتها فاطمة باج التي التحقت هي الأخرى بصفوف الثورة و قد نشرت صحيفة البلاد صورهما طالبة رأسها .

وفي سنة 1957م قررت القيادة بالولاية الرابعة إرسال بعض الفتيات خارج الوطن للتربص منهم مسعودة باج وفي طريقها إلى المغرب عبرت التراب فوقعت معركة بين المجاهدين وقوات العدو استشهدت فيها المجاهدة مسعودة باج سنة 1958م.

أما فاطمة باج التحقت بمدرسة الإسعاف الطبي التحقت وهي في سن 21 سنة بصفوف الثورة سنة 1957م والتحقت بأختها مسعودة واستشهدت في معركة مع الجيش بجبال الأوراس ¹⁵.

جميلة بوحيرد :

ناضلت جميلة بوحيرد منذ صيف 1956م وكان المخبر لصنع القنابل والعبوات يستعمل منذ سبتمبر 1956م عند عمها مصطفى بوحيرد وفي سنة 1957م اكتشفت الأسلحة عند عمها وعندها هربت جميلة وأصيبت بجروح في كتفها ثم القي عليها القبض وهي حاملة وثائق ورسائل كانت متوجهة بها إلى ياسف السعدي وعلي لابوانت وسنحت وعذبت أشنع أنواع التعذيب لكنها صمدت وبعد الاستقلال اختارت الابتعاد عن العمل السياسي ¹⁶.

عائشة حاج سليمان :

كانت تدعى فوزية في الثورة ، ولدت بتلمسان عام 1940م كانت طالبة في الثانوية الثعالبية بتلمسان واثرا الاضراب الذي شنه الطلبة يوم 6 ماي 1956م التحقت بصفوف الجيش واستشهدت في سبتمبر 1957م قرب منطقة ندرومة ، كانت تراقب الحالة السياسية والعسكرية والاجتماعية عبر كل منطقة ومندمجة في المجتمع تلقي عليهم الدروس والعضات وتلهب حماسهم نحو النضال وفي سبتمبر 1957م ، حاولت عبور الحدود المغربية فإذا بالقوات الفرنسية قد شنت حملة طوقت بها المنطقة فاختبأت فوزية في بيت بمسيرة لكن العدو احتل كل الجهات وحوصرت المغارة التي كانت تتواجد بها هي وبعض الاخوان ، حيث اكتشف العدو المخبأ السري بسبب بوح بعض الخونة .

تاريخ الإرسال: 2022/11/18

تاريخ القبول: 2022/12/21

تاريخ النشر: 2022 / 12/30

وحوصرت المنطقة ساعات ثم أمر العدو بتخريب المخبأ بديناميت وفجروا القنابل داخله وفي تلك الأثناء قام أحد الثوار بإطلاق النار على الكل وقتلت فوزية وقام المجاهد بقتل العديد من جيش العدو ثم أطلق الرصاص على نفسه ، وعلى اخوانه حتى لا يصل اليهم العدو ويكشف أسرار الثوار ¹⁷.

فاطمة خليف:

تعتبر رمزاً من رموز الثورة الجزائرية المظفرة، وأطلق عليها اسم الشهيدة التي لم تمت، وقد وصف ملحمتها وصفاً دقيقاً، وأكد على أنها واحدة من البطلات الخالدات، فاطمة خليف، المجاهدة الجزائرية العربية المسلمة تعد واحدة من أبطال، وبطلات الشعب الجزائري المجاهد، شبت منذ صغرها على حب وطنها الجزائر، وعلى أصالتها العربية الإسلامية، فانخرطت هي وعائلتها في صفوف المجاهدين. تلقت فاطمة كل صنوف التعذيب الوحشي على أيدي الكفار الجنود الفرنسيين، فقطعوا يديها، وهي تنظر، وأودعوها سجنًا معلقاً بين السماء والأرض، ووضعت حملها فيه، ويدها مقطوعتان، وتديها مشوهان بوسائل التعذيب الجهنمية. ، هذه القصة الواقعية باختصار للمجاهدة المرأة الجزائرية المسلمة لتكون عبرة لفتيات الأمة العربية في وطنيتها، وجهادها، وصمودها أمام الشدائد، والحن، وأنواع التعذيب، لأنها اختارت طريق الكرامة، والعزة، والشرف، كنموذج للمرأة العربية المسلمة في سبيل الله، والوطن

تنتمي إلى بلدية بني سنوس، ، وهي تبعد عن مدينة تلمسان ب32 كلم، وطبيعتها أنها منطقة جبلية صعبة المسالك، ومعروفة بأدغالها، وغاباتها، وقد كانت ملجأً للثوار منذ الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر، فتحت فاطمة عينيها على بطش المستعمر الفرنسي الذي سفك دم والدها، وقال إنها لم تكن تفهم، وهي صغيرة لماذا يقتلون الرجال والنساء والأطفال الأبرياء؟.

ومع مرور الأيام تنامي حسها السياسي، وأصبحت مولعة بتتبع الأحداث، ومتابعة الأخبار، ونظراً لأن جميع أفراد عائلتها ودشركا ومنطقتها كانوا من المناضلين الثائرين ضد الاستعمار الفرنسي الذي اغتصب وطنهم، ودينهم الإسلامي، ولغتهم العربية، فقد كانوا يأخذونها أحياناً، وهي ما تزال شابة لحضور اجتماعات جبهة وجيش التحرير الوطني بمنطقتها مع بعض المناضلات والمجاهدات، وتدريباً أصبحت عائلتها مركزاً لجبهة التحرير للثورة الجزائرية المسلحة في سنواتها الأولى، وكان دورها تموين المجاهدين، وتخزين الأسلحة، والذخيرة الحربية، إضافة إلى إيواء الجرحى، والمرضى من المجاهدين والمجاهدات، ولاسيما منهم الذين يأتون من المناطق الداخلية للوطن، ويعتصمون بجبال بني سنوس.

و في بداية نوفمبر 1956م أُلقت القوات الفرنسية القبض عليها وهي مصابة بجروح بليغة إثر معركة دامية دامت يوماً كاملاً. حيث أخذت مقيدة بالأغلال، وملابسها ممزقة، حافية القدمين تمشي والدماء تتزف من قدميها نزفاً، ورغم حالتها المريعة، فقد سلط عليها جنود الاحتلال وزبانيته أبشع أنواع التعذيب والإهانة المعنوية والضرب الجسدي .

وبقيت فاطمة ثلاثة أشهر تحت التعذيب للحصول على معلومات تتعلق بمخازن الأسلحة وذخيرتها الحربية ومراكز التموين وعدد المجاهدين، وأفراد الشعب الذين يمولونها بالمال، والأطعمة، ولكنها لم تقدم أية معلومات لقوات

الفرنسية ، وتحملت كل أنواع التعذيب. وفي شهر مارس 1957 م أُلقت بها القوات الفرنسية في دشرتها، وأخذها بعض أفراد عائلتها ممن بقوا على قيد الحياة، وقدموا لها علاجاً بسيطاً جداً، وعلى الرغم من جراحها الخطيرة والمتعفنة فقد أجبرتها مصالح الأمن العسكرية الفرنسية على القدوم يومياً إلى مركز مخصص للإمضاء والتنقيط، ونظراً للظروف الصحية الصعبة التي كانت تمر بها فاطمة فقد قررت القيادة الثورية لجهة التحرير الوطني الجزائري تهريبها ليلاً إلى أحد مراكز العلاج السرية، وفي يوم الغد، بعد أن تغييت عن الذهاب إلى مركز المراقبة الفرنسية، جاءت وحدات من الجيش للبحث عنها، واستنطقوا سكان القرية، والمحتشد لعلهم يعثرون على أخبار عنها، و لكونهم لم يحصلوا على أية معلومة، فقد أخذوا أختها(عائشة)رهينة والتي كانت تبلغ من العمر 15 سنة، وبعد أن استنطقت، وعذبت أرسلت إلى سجن الحراش.

وتعرضت فاطمة للضرب والشتم داخل السيارة العسكرية من قبل الضابط الفرنسي(تيسو)، وقد أكدت فاطمة بأنها ستموت مجاهدة، وشهيدة من أجل دينها الإسلام وبلادها الجزائر، وأمتها العربية، فعرضت للضرب المبرح إلى أن أغمي عليها، وأخذت إلى مستشفى تلمسان، وعوض أن تُقدم لها الإسعافات الاستعجالية لجراحها فقد كان الطبيب الفرنسي(رواق)يزيدها تعذيباً جسدياً، ومعنوياً. وبعد ذلك تم استنطاقها، وذكرت مهامها، ونشاطاتها، وقد خاطبها الجندي الذي قام بالاستنطاق قائلاً إذا قتلناك فستتخلصين من الدنيا، وإذا سلمنا عينيك كهذا الرجل المجاهد الذي أمامك فإنك تعيشين ولا تتمتعين بالدنيا ولذلك سنبتقيك على قيد الحياة وتعيشي العذاب والشقاء والبؤس والحرمان.

فتم قطع يديها(بالمزبرة)وألقي بها في دشرتها، وأخذت من قبل جيش التحرير الوطني لأخذ العلاج في(جبل جرف النحل) على حافة الوادي وتمت معالجتها، وقد تكفلت صديقتها (الزهاء) بمساعدتها في الأكل، والملبس، وقضاء حاجياتها الصحية، كما ساعدها المجاهد (بوزياني)التي ظل يسهر على علاجها، ويقوم بمواساتها. وفي يوم: 02 نوفمبر 1961م تم نقلها مع قافلة إلى محتشد سبدو، وتم عزل النساء عن الرجال، وذلك تحت الضرب، والشتم، ونهش الكلاب، وتم بعد ذلك الزج بها ورفيقاتها في السجن المعلق ببرج خزان الماء بالطابق الثاني في يوم شديد البرد والرياح والعواصف والثلوج، وقد كانت ظروف السجينات مأساوية، ولا توجد لا ألبسة، و لا أغطية، ولا أكل، وفي منتصف 11 ديسمبر 1961، وبمساعدة المجاهدة الكبيرة فاطمة قاسمي التي تفتنت لآلامها، وأوجاعها، ووضعت مولودها(نصر الدين).

ارادت السلطات ابعاد طفلها عنها لكن السجينات أضربن عن الطعام لإبقاء (نصر الدين)مع أمه في السجن، أو يفرج عنها.وأمام هذا الوضع المخرج الذي وقعت فيه السلطات الاستعمارية، أرسل القائد العسكري لولاية تلمسان مبعوثاً خاصاً لتهدئة الأوضاع، وطمأن فاطمة على مصير ولدها.وهكذا عمت الفرحة داخل السجن، ووجدت السجينات في الصبي أنيساً بين جدران السجن و يذكر أن الصبي(نصر الدين) قضى وأمه 12 يوماً بين الاستنطاق والتعذيب

النفسى والجسدى، وكثيراً ما تعرض لمحاولات اغتيال، واختطاف من قبل رجال المنظمة العسكرية السرية (لواص OAS).

وقد تم الحكم بخمس سنوات سجنًا نافذة على نصر الدين عقوبة على مشاركته في المعركة ضد القوات الفرنسية التي تكبدت خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وهو بطن أمه في الشهر الثامن... فيعتبر فلاقي وعوض أن ينفذ حكم الإعدام في أمه فإننا اكتفينا بخمس سنوات أيضاً معه... وفي حالة فرار أمه كالمعتاد من السجن بمساعدة (الفلافة) فإننا سننفذ فيها حكم الإعدام وابنها الصغير. وبعد سماع فاطمة منطوق الحكم أطلقت زغرودة دوت أنغامها في قاعة المحكمة، وهو ما جعل الحاضرين يتعجبون من أمرها ثم سألتها رئيس المحكمة لماذا ترغدين؟ فأجابت وهي رافعة يديها المقطوعتين أمام رئيس المحكمة... أزگرد على إنسانية وعدالة الدولة الفرنسية وأفرح لأنكم لم تكتفوا بقطع يدي بل إن رحمتكم أدت بكم إلى إدانة طفل لم ير النور سوى أياماً معدودات. ثم رفعت يديها إلى السماء داعية (اللهم اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ومن كل حرج فرجاً وأنعم علينا بالاستقلال والحرية). ورغم الدفاع فقد نفذ الحكم، وأعيدت فاطمة وولدها إلى سجن تلمسان ليملكنا فيه حتى استقلال الجزائر¹⁸.

4/ خاتمة :

ختاماً لما سبق نستنتج أن المرأة الجزائرية رغم الفقر وقلة الامكانيات و التضاريس الوعرة والخطر الذي تعرضت له إلا أنها لم تترك واجبها الوطني والتحقت بالثورة و ضحت بكل ما تملك في سبيل الوطن فسجل التاريخ عدة تضحيات لنساء كافحن الى جانب الرجل واستطعن اخراج العدو وطرده فأدت بذلك دورا مشرفا حيث تعرضت لكل أنواع التعذيب وصمدت أمام العدو رافضة كل انواع الاستغلال والاستعباد وقادت الثورة إلى النجاح الى جانب الرجل للوصول الى الحرية والاستقلال .

الهوامش :

¹ محمدي محمد، المرأة الجزائرية وأدوارها الإنسانية خلال الثورة، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03 المجلد ، العدد 02 ، ديسمبر 2019م ص 179 و 180.

² نفسه

³ احمد طالب الابراهيمى ، آثار محمد البشير الابراهيمى ، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1997م ج4 ص 170..

⁴ المصدر نفسه ص 360

⁵ قemor ابراهيم ، "روح الجماعة في الثورة التحريرية" ، مجلة أول نوفمبر ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 168 ، 2006م ص 55

⁶ محمد غربي ، " واقع المرأة الجزائرية ودورها في الفترة الاستعمارية 1830م-1962م " ، مجلة جيل للعلوم الإنسانية والإجتماعية العدد 73 ص9.

⁷ أنيسة بركات درار ، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985م ص 22 و 23 .

⁸ قemor ابراهيم ، المرجع السابق ص 56 و 57 و عبد القادر نور الجنيدي خليفة وآخرون ، حوار حول الثورة ، المركز الوطني للتوثيق و الصحافة و الاعلام المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغبة 1986م ج3ص433

⁹ عبد القادر نور والجنيدي وآخرون ، المرجع السابق ص 5.

¹⁰ ابو طارق محمد العربي ، دور المرأة اثناء الثورة ، سلسلة ملتقيات دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغبة 1998م ص117.

¹¹ أنيسة درار ، نضال المرأة الجزائرية ص 32.

¹² أنيسة درار ، المصدر نفسه.

¹³ نفسه ص 55-58-70 .

¹⁴ خامس سامية و كريم مقنوش واخرون ، مسيرة نضال المرأة الجزائرية المركز الوطني للدراسات و البحث في تاريخ الثورة . ص 244

¹⁵ المرجع نفسه

¹⁶ أنيسة بركات درار ، نضال المرأة الجزائرية أثناء الثورة ص 57

¹⁷ المصدر نفسه ، ص 41 — 44

¹⁸ محمد سيف الاسلام بوفلاحة من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

- 1/ أحمد طالب الابراهيمى ، آثار محمد البشير الابراهيمى ، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1997م ج4
- 2/ أنيسة بركات درار ، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985م.

المراجع :

- 1/ عبد القادر نور الجنيدي خليفة وآخرون ، حوار حول الثورة ، المركز الوطني للتوثيق و الصحافة و الإعلام ج3. الجزائر 1986م
- 2/ محمد سيف الاسلام بوفلاقة من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة و جرائم الاستعمار الفرنسي
- 3/ خامس سامية و كريمة مقنوش وآخرون ، مسيرة نضال المرأة الجزائرية المركز الوطني للدراسات و البحث في تاريخ الثورة .
- 4/ قمر ابراهيم ، روح الجماعة في الثورة التحريرية ، مجلة أول نوفمبر ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 168، 2006م
- 5/ عبد الحميد خالدي ، وقفات في جهاد المرأة الجزائرية ، أعمال الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية ، ط2 ، دار هومة ، 2007م
- 6/ سيدي موسى و محمد شارف ، نضال المرأة في الحركة الوطنية ، أعمال الملتقى الوطني حول كفاح المرأة الجزائرية ، ط2 ، دار هومة ، 2007م.
- 7/ ابو طارق محمد العربي ، دور المرأة اثناء الثورة ، سلسلة ملتقيات دراسات و بحوث الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر المؤسسة للفنون المطبعية رغبة 1998م.
- 8/ محمد غربي، واقع المرأة الجزائرية ودورها في الفترة الاستعمارية 1830م-1962م مجلة جيل للعلوم الإنسانية و الإجتماعية العدد 73.